ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Hussein Talib Ajeel Kadhim Al-Shammari

Prof. Dr. Haydar Jasim jaber Al-Dinainawi

Keywords: duality, plural, Hadi, Mahri.

ARTICLE INFO

Article history:
Received 13 Jul 2025
Accepted 31 Aug 2022
Available online 1 Oct 2025

Reasons for duality and pluralis in (Al-Hadi fi Tafsir Al-Quran Al-Karim) by Sayyid Murtada Al-Mahri

Abstract

Deducing the secrets of Qur'anic expression is one of the topics that clearly reveal the Qur'anic miracle. In the preparation for the present study, many studies and research that examined this topic in ancient and modern exegetical books have been reviewed, as studying a modern linguistic exegesis that researchers had not yet considered is paramount. Due to linguistic secrets and interpretive references, which open up broad horizons for studying this important topic, Sayyid Al-Mahri could uncover the reasons behind the selection of many words, phrases, and structures in the Glorious Quran. Among them are the reasons for duality and pluralism in the Holy Qur'an.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI : https://doi.org/10.31185/lark.4561

الباحث حسين طالب عجيل الشمري / كلية الآداب / جامعة واسط
أ.د. حيدر جاسم جابر الدنيناوي / كلية الآداب / جامعة واسط

الملخص:

إنَّ استنباطَ أسرارِ التعبيرِ القرآنيّ من الموضوعاتِ التي تكشفُ بوضوحٍ عن الإعجاز القرآنيّ ، وقد راجعْتُ الدراساتِ والبحوثَ التي درسَتْ هذا الموضوعَ في كتبِ التفسيرِ القديمةِ والحديثةِ ، وكانَ لا بُدَّ من دراسةٍ تفسيرٍ لغويٍّ حديثٍ لم يقفْ عندَهُ الباحثونَ ، فوقَعَ اختياري على دراسةِ عللِ التعبيرِ القرآنيّ في كتاب (الهادي في تفسير القرآن الكريم) للسيّد مرتضى المهريّ ؛ لِمَا فيهِ مِنَ الأسرارِ اللغويَّةِ والإشاراتِ التفسيريَّةِ التي تفتحُ الآفاقَ الواسعةَ لدراسةِ هذا الموضوعِ المهمّ ، وقد استطاعَ السيّدُ المهريُّ لِما يمتلكُ من ثقافةٍ واسعةٍ في علومٍ مختلفةٍ ولدراستِهِ العميقةِ الطويلةِ التي قضاها في الحوزةِ العلميَّةِ في النجفِ الأشرفِ وقمِ المقدَّسةِ أَنْ يكشفَ عن عللِ اختيارِ كثيرٍ من الألفاظِ والصيغِ والتراكيبِ في القرآنِ الكريمِ ، ومنها عللُ التثنيةِ والجمعِ في القرآن الكريم .

الكلمات المفتاحية : التثنية ، الجمع ، الهادي ، المهري .

المقدّمة

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالَمينَ خاتَمِ الأنبياءِ والمُرسلينَ أبي القاسمِ مُحمَّدٍ وعلى أهلِ بيتِهِ الطَّيّبينَ الطَّاهرينَ وأصحابِهِ المُنتَجَبِينَ .

أمّا بعدُ فإنَّ اللهَ سبحانَهُ تعالى أعجزَ البشرَ في لغتِهم وتحدَّاهم فأنزلَ القرآنَ الكريمَ كتابًا مُعجِزًا في بلاغةِ تصويرِهِ وروعةِ أُسلوبِهِ ودقَّةِ اختيارِ مفرداتِهِ . فالتعبيرُ القرآنيُّ يتألَّفُ من ألفاظٍ وتراكيبَ يُرادُ التوصُّلُ مِن نظمِها وتأليفِها إلى الفهمِ الصحيحِ لمعاني القرآنِ الكريمِ وبيانِ أسرارِ الإعجازِ اللغويّ فيه ؛ ولذلك دعا اللهُ عزَّ وجلَّ عبادَهُ إلى ضرورةِ التفكُّرِ والمراجعةِ في القرآنِ الكريمِ الذي نزلَ بلغةٍ عربيَّةٍ ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : 2] .

وقد جاءَت ألفاظُ القرآنِ الكريمِ على مثالِ لغةِ العربِ وأساليبِهم التي ينظمونَ بها كلامَهم ويُعبِّرُونَ بها عن مقاصدِهم المختلفةِ ، غيرَ أنَّهُ تفوَّقَ عليها تفوُّقًا واضحًا ؛ لِما اشتملَ عليهِ مِن سحرِ البيانِ ودقَّةِ الاختيارِ وبديعِ الإحكامِ ، فآثرَ القرآنُ الكريمُ لفظًا على لفظٍ وصيغةً على صيغةٍ وتركيبًا على تركيبٍ لحكمةٍ ربانيَّةٍ ساميةٍ .

واستنباطُ أسرارِ التعبيرِ القرآنيّ من الموضوعاتِ التي تكشفُ بوضوحٍ عن الإعجاز القرآنيّ ، ، وقد راجعْتُ الدراساتِ والبحوثَ التي درسَتْ هذا الموضوعَ في كتبِ التفسيرِ القديمةِ والحديثةِ ، وكانَ لا بُدَّ من دراسةٍ تفسيرٍ لغويٍّ حديثٍ لم يقفْ عندَهُ الباحثونَ ، فوقَعَ اختياري على دراسةِ عللِ التعبيرِ القرآنيّ في كتاب (الهادي في تفسير القرآن الكريم) للسيّد مرتضى المهريّ ؛ لِمَا فيهِ مِنَ الأسرارِ اللغويَّةِ والإشاراتِ التفسيريَّةِ

التي تفتحُ الآفاقَ الواسعةَ لدراسةِ هذا الموضوعِ المهمّ ، وقد استطاعَ السيّدُ المهريُّ لِما يمتلكُ من ثقافةٍ واسعةٍ في علومٍ مختلفةٍ ولدراستِهِ العميقةِ الطويلةِ التي قضاها في الحوزةِ العلميَّةِ في النجفِ الأشرفِ وقمِ المقدَّسةِ أَنْ يكشفَ عن عللِ اختيارِ كثيرٍ من الألفاظِ والصيغِ والتراكيبِ في القرآنِ الكريمِ . فكانَ عنوانُ الدراسة (علل التعبيرِ القرآنيّ في الهادي في تفسيرِ القرآنِ الكريمِ للسيّد مرتضى المهريّ دراسةٌ تحليليَّةٌ) .

ومن أسبابِ اختياري هذا التفسيرَ دون غيره هو عدمُ وجودِ دراساتٍ فيه ولا سيَّما في موضوع عللِ التعبيرِ القرآنيّ ، فضلًا عن الإشاراتِ اللغويَّةِ الكثيرةِ لأسرارِ اختيار المفرداتِ والأساليبِ في القرآن الكريمِ التي أشارَ إليها السيّدُ المهريُّ ، وفصَّلَ في بعضِها تفصيلًا مفيدًا ، وربَّما يُذكرُ علّلًا تعبيريَّةً لم يُشِرْ لها المفسّرونَ السابقونَ ، أو أشاروا لها إشاراتٍ سريعةً ، وبذلك يمكن أن نقول : إنَّ عملَ السيّدِ المهريّ يمكنُ أن يكونَ مكمِّلًا لعملِ المفسّرينَ السابقينَ ، فهو يتَّفقُ معهم في كثيرٍ من أسرارِ التعبيرِ القرآنيّ ، لكنَّهُ يُفصّلُ ويُضِيفُ ويناقشُ ويُعلِّلُ .

وممَّا أودُّ الإشارة إليه أنَّ كتاب (الهادي في تفسير القرآن الكريم) لم أجدْ دراساتٍ سابقةً فيهِ إلَّا رسالةً واحدةً كانَ عنوانها (الهادي في تفسير القرآن الكريم للسيد مرتضى المهريَّ مقاربة هرمينيوطيقا اللغة) للباحث (رائد جبار خضير) بإشراف (أ.د. حيدر علي حلو) / كلية التربية الإنسانية / جامعة ذي قار / 2024 م ، ولم أجدْ – بحسبِ اطِّلاعي - أيَّ دراساتٍ أخرى عن هذا التفسير ؛ لأنَّهُ لم يكتملْ بعدُ ، وربّما يُكملُهُ المفسّرُ في السَّنواتِ اللاحقةِ إنْ شاء الله تعالى .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أولًا : علل التعبير القرآني :

العلَّةُ في اللغةِ لها معانٍ عدةٌ ذكرها اللغويُّونَ ، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 ه) : " العَلَلُ : تعني الشَّرْبَةُ الثانية ، والفعْلُ : عَلَّ القومُ إبلَهُم يَعُلُّونَها عَلًّا وَعَلَلًا ، والإبلُ تَعُلُّ نفسها عَلَلًا ، وقيلَ : العلَّةُ : المرضُ ، وصاحبها مُعْتَلٌّ . والعِلَّةُ : حَدَثٌ يَشْغَلُ صاحبَهُ عن وجهه ، والعليلُ : المريضُ ، والعَلُّ القُرادُ الضَّخْمُ ، والعَلَهُ خبثُ النفسِ والحدَّةُ والانهماكُ " [الخليل بن أحمد الفراهيدي : 3 / 220-223] . وقال ابن فارس (ت 395 ه) : " قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْعَلُّ : الضَّعِيفُ مِنْ كِبَرٍ أَوْ مَرَضٍ " [ابن فارس : 3 /14] .

والعِلَّة المَرَضُ ، فعَلَّ يَعِلُّ واعْتَلَّ أي مَرِضَ ، فَهُوَ عَلِيلٌ ، وأَعَلَّهُ اللهُ ، وَلَا أَعَلَّكَ اللهُ أَي لَا أَصابَكَ بِعِلَّةٍ . واعْتَلَّ عَلَيْهِ بِعِلَّةٍ واعْتَلَّهُ إذا اعْتَاقَهُ عَنْ أَمرٍ [ينظر : ابن منظور : 11 / 471] . وقد يكونُ بمعنى التكرارِ المتتابعِ : " الشَّرْبةُ الثَّانِيَةُ ، وَقِيلَ : الشُّرْب بَعْدَ الشُّرْبِ تِباعًا ، يُقَالُ : عَلَلٌ بَعْدَ نَهَلٍ . وعَلَّهُ يَعُلُّهُ ويَعِلُّهُ إذا سَقَاهُ السَّقْيَةَ الثَّانِيَةَ ، وعَلَّ بِنَفْسِهِ ، يَتعدَّى وَلَا يتعدَّى . وعَلَّ يَعِلُّ ويَعُلُّ " [ابن منظور : 4 / 467] . والعَلَّةُ : " مَعْنَاهُ العِلَّةِ لوُقُوعِ الشَّيْءِ " ابن سيده : 7 / 74] .

ونستنتج ممَّا سبقَ أنَّ المعنى اللغويَّ للعلَّةِ يتضمَّنُ معانيَ مختلفةً ، منها المرض ، والشرب بعد الشرب ، ووقوع الشيء ، . وتأتي أيضًا بمعنى (السبب) ، وهذا المعنى هو المناسب للمعنى الاصطلاحي ؛ لأنَّ العلَّةَ سَبَبٌ في ثبوتِ الحكمِ في الفرعِ المطلوبِ إثباتُ الحكمِ له .

والعلة اصطلاحًا بحسبِ تعريف الشريفِ الجرجانيِّ (ت 816 ه) : " هي ما يتوقَّفُ عليه وجودُ الشيءِ ويكونُ خارجًا مؤثِّرًا فيهِ " [الشريف الجرجاني : 154] ، وبحسبِ تعريفِ الكفويِّ (ت 1094 ه) : " وَهِي مَا يتَوَقَّف عَلَيْهِ الشَّيْء . وَفِي " التَّلْوِيح " مَا يثبت بِهِ الشَّيْءُ ، وَعند الأصوليِّ : مَا يجبُ بِهِ الحكمُ ... وكلٌّ من الْعلَّةِ وَالسَّبَبِ قد يُفَسَّرُ بِمَا يحْتَاجُ إِلَيْهِ الشَّيْءُ فَلَا يتغايرانِ . وَقد يُرَادُ بِالْعِلَّةِ الْمُؤثِّرُ ، وبالسببِ مَا يُفْضِي إِلَى الشَّيْء فِي الْجُمْلَةِ ، أَو مَا يكون باعثا عَلَيْهِ فيفترقانِ . وَقَالَ بَعضهم : السَّبَبُ مَا يتَوَصَّل بِهِ إِلَى الحكمِ مِنْ غيرِ أَنْ يَثْبُتَ بِهِ ، وَالْعلَّة مَا يثْبُتُ الحكمُ بهَا ، وَكَذَا الدَّلِيلُ فَإِنَّهُ طَرِيقٌ لمعْرِفَةِ الْمَدْلُولِ بِسَبَبِهِ تحصلُ الْمعرفَة وعَلى حُصُول الْمعرفَة وَوُقُوع الْعلم بِهِ الِاسْتِدْلَال ، غير أَن الْعلَّة تسمى سَبَبًا ، وَتسَمى دَلِيلا مجَازًا . وكلُّ فعلٍ يثبتُ بِهِ الحكمُ بعد وجوده بأزمنة مَقْصُودا غير مُسْتَند فَهُوَ سَبَب قد صَار عِلّة كالتدبير والاستيلاء . قَالَ بَعضهم :كل عِلّة جَازَ أَن تسمى دلَالَة لِأَنَّهَا تدل على الحكم ، والمؤثر أبدا يدل على الْأَثر . وَلَا يُسمى كل دلَالَة عِلّة لِأَن الدّلَالَة قد يعبر بهَا عَن الأمارة الَّتِي لَا توجبه وَلَا تُؤثر فِيهِ كَالْكَوْكَبِ فَإِنَّهُ دَلِيل الْقبْلَة وَلَا يُؤثر فِيهَا،) وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَحدُ أَرْكَانِ الْقيَاسِ عِلّةً ؛ لِأَن الْعلَّةَ الْمَرَضُ ، فَكَانَ تأثيرها فِي الحكم كتأثير الْعلَّة فِي الْمَرِيض ... " [أبو البقاء الكفوي : 504] .

وقسَّم التهانوي العلَّةَ ، فقال : " العلَّةُ على قسمينِ : علَّةٌ تامَّةٌ وتُسمَّى علَّةً مستقلَّةً أيضًا ، وعلَّةٌ غيرُ تامَّةٍ وتُسمَّى علَّةً ناقصةً أو غيرَ مستقلَّةٍ . فالعلَّةُ التامَّةُ عبارةٌ عن جميعِ ما يحتاجُ إليهِ الشيءُ في ماهيَّتِهِ ووجودِه أو في وجوده فقط كما في المعلولِ البسيط ، والناقصةُ ما لا يكون كذلك ، والعلَّة الصوريَّة ما به الشيءُ بالفعل أي ما يقارن من شروط العلَّةِ : أنْ لا يكونَ ثبوتُها متأخرًا عن ثبوت حكم الأصل بل بمقارنِه خلافًا لقوم . قال الصفي الهنديُّ : والحقُّ الجوازُ إنْ أُريدَ بالعلَّةِ المعرِّف ، لوجودِهِ وجود الشيء بمعنى أنْ لا يتوقَّفَ بعد وجودِهِ على شيءٍ آخرَ ، والعلَّةُ الماديَّةُ ما به الشيء بالقوة كالخشب للسرير ، والعلَّةُ الغائيَّةُ كالجلوس على السرير للسرير ، وهاتان العلَّتان تختصَّان باسم علَّةِ الوجودِ لتوقُّفِهِ عليهما دون الماهيَّةِ ، والعلَّةُ الفاعليَّةُ أي أنّها تفيد فاعلية الفاعل ، إذ هي الباعثةُ للفاعل على الإيجاد ومتأخّرة وجودًا عن المعلول في الخارج ، إذ الجلوسُ على السرير إنَّما يكونُ بعدَ وجود السرير في الخارج لكن يتقدَّمُ عليه في العقل " [التهانوي : 2 / 1209] .

وقد فرَّق بعضُ اللغويِّينَ بين العلَّةِ والسببِ ، قال ابن جنّي في الخصائص : " الفرقُ بين العلَّةِ والسببِ أنَّ ما كان موجبًا يُسمَّى علَّةً وما كان مجوزًا يُسمى سببًا " [ابن جني : 1 / 164] ، وذكر أبو هلال العسكريُّ الْفرق بَين الْعلَّة وَالسَّبَب ، وبيَّنَ " أَنَّ الْعلَّة يتَأَخَّر عَن الْمَعْلُول كَالرِّيحِ ، وَالسَّبَبَ لَا يتَأَخَّر عَن مسبَّبِهِ على

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وَجهٍ من الْوُجُوه . أَلا ترى أَن الرَّمْيَ الَّذِي هُوَ سَبَبٌ لذهابِ السهْم لَا يجوز أَنْ يكونَ بعد ذهَابِ السَّهْم ، أي العلَّةُ يتأَخَّرُ والسببُ لا يتأَخَّرُ " [العسكري : 73] .

التعبير القرآني :

التعبيرُ في اللغةِ هو التفسيرُ ، قال الخليلُ في مادة (عبر) : " عبَّرَ يُعبِّرُ الرؤيا تعبيرًا ، وعَبَرَها يَعْبُرُها عَبْرًا وعبارةً : إذا فسَّرها " [الفراهيدي : 2 / 84] . وفي مقاييس اللغة لابن فارسٍ : " عبر - العين والباء والراء - أصل صحيح واحدٌ يدلُّ على النفوذ والمضيِّ في الشيء ، يُقال : عبرتُ النهرَ عبورًا ... ومن البابِ عبَرَ الرؤيا يعبُرها عبرًا وعبارةً ، ويُعبِّرُها تعبيرًا ، إذا فسَّرها ... وممَّا حُمِلَ على هذهِ : العبارة . قال الخليل : تقول : عبَّرْتُ عن فلانٍ تعبيرًا ، إذا عيَّ بحجَّتِهِ فتكلَّمت بها عنه " [ابن فارس : 4 / 207] . وعند ابن منظور : " عَبَرَ الرُؤيا يَعْبُرُها عَبْرًا وعِبارةً ، وعبَّرها : فسَّرها وأَخبرَ بما يؤولُ إليه أَمرُها . وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : { إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيا تَعْبُرُونَ } [يوسف: 43] ... " [ابن منظور : 4 / 529] .

والتَّعْبِيرُ اصطلاحًا اقترنَ كثيرًا بالقرآن الكريمِ ، وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي أنَّ كلَّ لفظةٍ في التعبيرِ القرآنيِّ " إنَّما اختُيرت اختيارًا مقصودًا ، وأنَّ من أوتي حظًّا من البصر في اللغةِ وعلمًا بقوانينها يتَّضحُ له هذا الأمر اتضاحًا لا لبسَ فيه ولا غموضَ " [السامرائي : 5] .

والتعبيرُ القرآنيُّ تعبيرٌ دقيقٌ في اختيارِ مفرداتِهِ وأساليبهِ ومراعاتِهِ لمقاصدِ المتكلمينِ ومراتبِ المخاطبينِ ، إذ " لا خلافَ بين أهل العلم أنَّ التعبيرَ القرآنيَّ تعبيرٌ فريدٌ في عُلُوِّهِ وسُمُوِّهِ ، وأنَّهُ أعلى كلامٍ وأرفعُهُ ، وأنَّهُ بهرَ العربَ فلم يستطيعوا مداناتَهُ والإتيانَ بمثلِهِ مع أنَّه تحدَّاهم أكثر من مرَّةٍ ... إنَّ التعبيرَ القرآنيَّ تعبيرٌ فنِّيٌّ مقصودٌ . كلُّ لفظةٍ بل كلُّ حرفٍ فيه وُضِعَ وضعًا فنِّيًّا مقصودًا ، ولم تُراعَ في هذا الوضعِ الآيةُ وحدَها ولا السورةُ وحدَها ، بل رُوعِيَ في هذا الوضعِ التعبيرُ القرآنيُّ كلُّهُ " [السامرائي : 8 - 11] . وأشارت الدكتورة عائشة عبد الرحمن إلى الدقَّة المتناهيةِ في اختياراتِ التعبيرِ القرآنيِّ البليغِ ، فقالت : " التعابير القرآنيَّة سواء كانت حروفًا أو كلمات لها مكانة خاصة وموزونة ، بحيث لو أردنا أنْ نُغيِّرَ أحد هذه التعابير بتعبير آخر ، أو بتعبير مشابه ، أو نحاول حذفه ؛ اختلَّت فصاحة وبلاغة القرآن ، حتى إنَّ أصحاب الرأي يعتقدون إننا إذا حذفنا لفظًا من ألفاظ القرآن الكريم ، ثمَّ تأملنا مليًّا في وضع كلمة مناسبة تساوي الكلمة المحذوفة ؛ ما وجدنا بديلًا لها أبدًا " [عائشة عبد الرحمن : 1 / 123] .

وللإعجازِ في القرآن الكريمِ وجوهٌ متنوِّعةٌ ، لكنَّ أبرزَها الإعجازُ اللغويُّ الذي يشملُ القرآنَ كلَّهُ ، فقامَ كثيرٌ من العلماءِ بتتبُّعِ مواضعِهِ ، " وقد طلبوا للإعجازِ وجهًا آخر أو وجوهًا تشملُ القرآنَ كلَّهُ من الفاتحةِ حتَّى الخاتمةِ . ولم يكن بدٌّ عندَ هؤلاءِ المحقِّقينَ إلَّا أنْ يكون الإعجازُ القرآنيُّ إعجازًا بيانيًّا أدبيًّا كامنًا في أسلوبه ونظمِهِ ، وبلاغته وفصاحته " [عبد العظيم المطعني : 1 / 105] .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ثانياً : السيد مرتضى المهريّ :

1- حياته ونشأته ودراسته [1] :

وُلِدَ السيد مرتضى بن السيد عباس المهريُّ في الكويت في ٢٤ محرم ١٣٦٦ للهجرة الموافق ١٨ ديسمبر ١٩٤٦م ، نشأ في ظل والده الورع التقي الذي أتى الكويت قبل زمن النفط في زمان الفقر وليس له هدفٌ إلَّا إرشادَ المؤمنينَ وتزكيتهم ، فربَّاهُ تربيةً صالحةً وكذا كانت تربيةُ سائر إخوته ، وقبل سن السادسة دخل المدرسة الوطنية الجعفريَّة في الكويت وواصل الدراسة فيها حتى المرحلة المتوسطة ، ثم حدثت له بعض الموانع من إكمال دراسته ، فقد كان عازمًا على إكمال دراسته حتى الدكتوراه . ثُمَّ قرَّرَ أن ينتظم في سلك الحوزة العلمية ، فبدأ بدراسة المقدمات على يد والده فأكملها ، ثُمَّ قرَّرَ التوجُّهَ للنجف الأشرف في شوال عام ١٣٨٢ للهجرة وذلك بعد الانقلاب العسكري الذي أطاح بنظام عبد الكريم قاسم ، فأنهى مرحلة السطوح عند مشاهير الأساتذة .

ثمَّ انتقل إلى مرحلة بحث الخارج ، فحضر عشر سنوات في الفقه عند العلمينِ الكبيرينِ الأستاذينِ السيدينِ روحِ اللهِ الخمينيّ وأبي القاسمِ الخوئيّ (رحمهما الله) ، وكتبَ وعلَّقَ على دروسهما . وأمَّا الأصول فحضر شوطًا من الدورة الأصوليَّة الأخيرة لمحاضرات والد زوجته شيخ الفقهاء الميرزا محمد باقر الزنجانيّ (رحمه الله) ، وبعد وفاته بحثَ عن أفضلِ محاضرة في الأصول ، فدلَّهُ بعضُ الإخوة المؤمنينَ على محضر الأستاذ مرجع الشيعة الأعلى في عصرنا السيد السيستاني حفظه الله تعالى ورعاه .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أمَّا في حوزة قم المقدَّسة فقد حاول المهريُّ أنْ يجد بديلًا لأبحاثِ السيد السيستاني أيَّده الله تعالى ، لكنَّهُ لم يجد ما يُشفي الغليل ، وهذا لا يعني الانتقاص من أحدٍ ، بل جاءَ هذا نتيجة إعجابه الشديد بعمق أبحاثه الشريفة ومنطقه القوي وكثرة مطالعاته في الكتب المختلفة . ومهما كان فقد اكتفى بعد تلك المحاولات بالتدريس ، وكان يراجع دروسه السابقة ويعلق عليها إلى أن استقر تدريسه في الحوزة في ثلاثة بحوث : التفسير ، والفقه ، والأصول . وألقى فيها محاضرات على جمع من الطلبة الأفاضل ، وكان يكتب الفقه والأصول قبل إلقاء المحاضرة .

2- منهجه في التفسير :

بدأ السيد مرتضى المهريُّ بتفسير القرآن الكريم ، من سورة الأحزاب المباركة ، وربَّما سيكملُ سائر السور الأخرى في الأيامِ اللاحقةِ ، وقد أشار إلى ذلك بقولهِ : " وهذا الكتابُ قد بدأتُ فيهِ بالتفسيرِ من سورةِ الأحزابِ المباركةِ ، نأملُ أن يتبعَها تفسيرُ سائرِ السور بعدها ، بل التي قبلها أيضًا بتوفيقٍ من الله إنَّهُ سميعٌ مجيبٌ " [المهري : 1 / المقدمة د] .

[1]) ينظر : رياض العلماء – سيرة السيد مرتضى المهريّ ، الموقع الإلكتروني : https://mohri.net/seerah .

وكان لتفسيرِ المهريِّ مجموعةٌ من الخصائصِ التي اشتركَ بها مع غيره من المفسِّرينَ السابقينَ في خصائصَ واختلفَ معهم في خصائصَ أخرى ، ومنها على سبيل التمثيل والإيجاز :

أولًا: ملاحظة الأقوال السابقة والنقل من المصادر :

اعتمدَ المهريُّ في تفسيرِهِ على المصادرِ السابقةِ ولا سيَّما كتبُ التفسيرِ للمتقدِّمينَ والمتأخِّرينَ ، وفي ذلك يقولُ : " وأُنتُهِجَ في هذا التفسير المنهج العامُّ المتعارفُ من ملاحظةِ الأقوالِ [السابقةِ] أولًا ، ثمَّ ملاحظة مضمون الآية بمقتضى ظاهر اللفظ ، ومراجعةِ كتبِ اللغةِ ، وما أُلِّفَ في تبيينِ جذورِ اللغةِ العربيَّةِ ؛ لأنَّ القرآنَ نزلَ باللغةِ الفُصحى التي لم يطرأ عليها التغيُّراتُ المتأخِّرةُ بعد الفتوح ، ثمَّ ملاحظة سائر الآياتِ المرتبطةِ بالموضوعِ " [المهري : 1 / المقدمة د] . وأكثرُ من نقلَ عنهم من المفسرين السابقين الزمخشريُّ في تفسيره (الكشَّاف) ، وأكثرُ من نقلَ عنهم من المفسِّرينَ المحدثينَ الطباطبائيُّ في تفسيره (الميزان) .

ثانيًا: اهتمامه باللغة العربية ومعجماتها اللغوية :

اعتمدَ المهريُّ المنهجَ اللغويَّ في تفسيرِ الآيةِ الكريمةِ ، إذ ابتدأَ بشرحِ المعنى اللغويِّ للكلماتِ مستعينًا بآراءِ اللغويِّينَ المتقدِّمينَ ، وفي ذلك يقولُ : " قد لا يكون المعنى اللغوي واضحًا خصوصًا بملاحظة التغيرات التي وردت على اللغة فلا يمكنُ دعوى معرفة اللغة الأصلية لكثير من الألفاظ المستعملة في القرآن لكونه من النصوص القديمة كالأحاديث النبوية وأحاديث أئمة أهل البيت وخطب نهج البلاغة أو غيرها من الخطب والأشعار ، بل لا تكفي مراجعةُ كتبِ اللغةِ المتعارفة حيث تنقلُ الاستعمالات ، وإنَّما تنفعُ في هذا المجال الكتبُ التي تبحثُ عن جذورِ اللغةِ كمعجم مقاييس اللغة وكمفردات الراغب . وقد لا تتفقُ كلمتُهم على معنى واحدٍ فيحصلُ الشكُّ ، وربَّما يمكنُ للباحثِ أنْ يتوصَّلَ إلى معرفةِ المعنى المرادِ من القرآنِ بملاحظةِ سائرِ استعمالاتِهِ أو استعمالاتِ أهلِ اللغةِ في مواردَ أخرى ، أو يرجِّح أحدَ المعاني المذكورةِ في كتبِ اللغةِ لبعضِ الاعتباراتِ . وهنا يتدخَّلُ عنصرُ الاجتهادِ ، وربَّما لا تكون القرائنُ مفيدةً للقطعِ أو الاطمئنانِ ، فلا بُدَّ من التوقُّفِ وعدمِ الجزمِ بالمعنى كي لا يكونَ من التفسير بالرأي " [المهري : 1 / المقدمة ز – ح] .

ثالثًا: اهتمامه بنقل الأحاديث الشريفةِ :

يعتمدُ المهريُّ في تفسير بعضِ الآياتِ على الأثرِ المنقولِ عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلَّم) وأهل البيت (عليهم السلام) والصحابة والتابعين ؛ لأنَّهُ يعتقدُ أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلَّم) وأهل البيت (عليهم السلام) هم أعلمُ الناسِ بما وردَ في كتابِ الله تعالى من حكمٍ وأسرارَ مواعظَ ؛ لأنَّهُ نزلَ في بيوتهم ، ولا سيَّما أنَّ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله وسلَّم) قد أوصى باتِّباعِ أهلِ البيت (عليهم السلام) ؛ لأنَّهم الثقل الأصغر مع القرآن (الثقل الأكبر) . وفي ذلك يقولُ : " ثمَّ الروايات الواردة فهي وإن كانت قليلةً

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

إلَّا أنَّها كثيرًا ما تحلُّ المشكلاتِ المعقَّدةَ في الكتابِ العزيزِ . ولا غرو فأهل البيت [عليهم السلام] أدرى بما في البيت ، وهم عدلُ القرآن ، وأعلمُ الخلقِ بما يشتملُ عليهِ من أسرار " [المهري : 1 / المقدمة د] .

رابعًا: اهتمامه بالمسائل الفقهيَّة :

يهتمُّ المهريُّ اهتمامًا واضحًا بالمسائلِ الفقهيَّةِ ؛ لما يمتلكُ من ثقافةٍ فقهيَّةٍ كبيرةٍ تؤهِّلُهُ لأنْ يعقدَ المقارناتِ بينَ المذاهبِ الإسلاميَّةِ ويذكرُ ما يوافقُ رأيَ المذهبِ الإماميّ ، وممَّا ساعدهُ على ذلك أنَّه كانَ من أشهرِ فقهاءِ الشيعةِ وقد قضى سنواتٍ عديدةً في الدرسِ والتدريس في الحوزةِ العلميَّةِ . وكانَ يعتمدُ أشدَّ الاعتمادِ على الأثرِ الروائيّ الذي يختارُهُ وفقَ ضوابطَ معيَّنةٍ ومعاييرَ خاصَّةٍ ، أساسُها النقدُ والترجيحُ ، إذ يشترطُ في رواياتِ التفسيرِ مراعاةَ الأدلَّةِ الصحيحةِ العقليَّةِ والشرعيَّةِ . وفي ذلك يقولُ : " ومن المؤسفِ أنَّ رواياتِ التفسيرِ بقيَتْ مرسَلةً ، حيث لم يهتمَّ نقلةُ الحديث بنقل الأسانيد إلَّا في روايات الأحكام ، ولذلك فإنَّ الرواياتِ المُعتبرة التي يُستفاد منها في التفسير ترتبطُ في الغالبِ بحكمٍ فقهيٍّ استدعى من المحدِّثين الاهتمام بنقل أسانيدها . ومع ذلك فالرواياتُ حتَّى المرسلة منها خيرُ ما يُستَنَدُ إليه في فهم الكتابِ وحلِّ معضلاتهِ " [المهري : 1 / المقدمة د] .

خامسًا: اهتمامه بالمسائل العقديَّة :

دافعَ المهريُّ في تفسيرهِ عن عقيدتِهِ الإماميَّةِ دفاعًا واضحًا وقويًّا ، فقد كانت الاعتباراتُ العقديَّةُ الدينيَّةُ حاضرةً عندَهُ في تأويلِ الآياتِ . وفي ذلك يقولُ : " المسائلُ الاعتقاديَّةُ المرتبطةُ بمعرفةِ الله تعالى ومعرفةِ صفاتِهِ ، والتأمُّلُ في نشأةِ الكونِ ، وعلاقةُ الكونِ بخالقِهِ ، وشؤونُ الربوبيَّة ، ثُمَّ المعادُ ووجهُ الحكمةِ فيه والدليلُ على إمكانِهِ وثبوتِهِ ، ثُمَّ الرسالةُ وكيفيَّةُ ارتباطِ الإنسانِ بالسماءِ ، وغيرُ ذلك من مسائلِ العقيدة ؛ تتوقَّفُ معرفةُ الآياتِ المرتبطةِ بها على كثيرٍ من الأبحاث الكلاميَّةِ والفلسفيَّةِ ، وعلى معرفةِ الأديانِ والمذاهبِ سواء السماويَّة وغيرها . وهنا لا بدَّ من مراعاةِ الاحتياطِ لئلَّا يكونَ من التفسيرِ بالرأي " [المهري : 1 / المقدمة ط] .

سادسًا: الإشارة إلى أسباب النزول :

اهتمَّ المهريُّ بذكرِ أسبابِ النزولِ والأحداثِ التاريخيَّة المرافقةِ للآيةِ الكريمةِ ، لاتّصالها وتعلُّقها بالأحداثِ والوقائعِ المسبِّبة لنزول القرآنِ الكريم ، وهي لديه أعظم مُعينٍ على فَهم المعنى المقصودِ ؛ لأنَّ أغلبَ الآياتِ القرآنيَّةِ نزَلت على وفقِ أحداثٍ ومناسباتٍ وقعَتْ في عهد الرسول (ﷺ) . وفي ذلك يقولُ : " في القرآنِ آياتٌ كثيرةٌ تتعرَّضُ للوضعِ الاجتماعيّ والسياسيّ في مدينة رسولِ الله (ﷺ) وما حولها ، والحروبِ الدائرةِ بينَ المسلمينَ والمشركينَ ، ودور المنافقينَ في المجتمعِ الإسلاميّ ، ومكائدِ المشركينَ للوقيعة بالدينِ عاجلًا أو آجلًا ، وما يدور بين صحابةِ الرسولِ (ﷺ) وحوادثِ البيتِ النبويّ الكريمِ ، وشؤونِ أهلِ البيت (عليهم

السلام) ونحوِ ذلك . وتفسيرُ هذه الآياتِ لا يمكنُ إلَّا بالاطلاعِ على تأريخِ عهدِ الرسالةِ الكريمةِ ، وملاحظةِ الأحاديثِ الواردةِ بهذا الشأن " [المهري : 1/ المقدمة ي] .

علل التثنية والجمع في الهادي في تفسير القرآن الكريم :

إنَّ اختيارَ المفردةِ في التعبيرِ القرآنيِّ اختيارٌ دقيقٌ ، ولو تأمَّلْنا في آياتِ الذكرِ الحكيمِ لوجدنا أسرارًا عظيمةً ولطائفَ عجيبةً ، ورأينا أنَّ القرآنَ الكريمَ يستعملُ في كلِّ موضعٍ ما يلائِمُهُ منها ، فهو يضعُ كلَّ لفظٍ في محلِّهِ الذي يليقُ بهِ ، لذلكَ ترى في تعبيراتِ القرآنِ الكريمِ أنَّهُ تارةً يستعملُ المفردَ ، وتارةً أُخرى يستعمل المثنَّى ، وتارةً ثالثةً يستعملُ الجمعَ ، ولو حاولنا إحلالَ أحدِها محلَّ الآخرِ لفسدَ التعبيرُ وذَهَبَتْ حلاوتُهُ وغابتْ بلاغتُهُ

والمثنَّى هو اسمٌ معربٌ يدلُّ على اثنينِ مطلقًا سواءٌ أكانَ من المذكَّر أم من المؤنَّث وقد اتَّفقا لفظًا ومعنًى ، مثل : (رجلانِ وامرأتانِ) أو (رجلينِ وامرأتينِ) ، ويُعرَفُ بزيادةِ ألفٍ ونونٍ في حالةِ الرفعِ ، وياءٍ ونونٍ في حالتي النصبِ والجرّ ، نحو : (جاءَ الولدانِ ، علَّمْتُ التلميذَيْنِ ، وسلَّمْتُ على صَديقَيْنِ) [ينظر : الحملاوي : 145] .

والجمعُ هو ما دلَّ على أكثر من اثنينِ أو اثنتينِ ، ويكونُ على ثلاثةِ أنواعٍ : الأول جمع المذكر السالم الذي يُصَاغُ بزيادة ألفٍ ونونٍ على مفردِهِ في حالةِ الرفع ، وياءٍ ونونٍ في حالتي النصب والجر ، نحو : (مُعلِّم : مُعلِّمون ومعلِّمين) . والثاني جمع المؤنث السالم الذي يُعْرَفُ بزيادةِ ألفٍ وتاءٍ بلا تغييرٍ في صورة مفردِهِ ، نحو : (مُعَلِّمَة : مُعَلِّمَات) . والثالث جمع التكسير الذي يُعرَفُ بتغييرٍ في بنيةِ مفردِهِ ، إمَّا بزيادةٍ نحو : صُنْو : صُنْوان ، وإمَّا بنقصٍ نحو : تُخْمَة تُخَم ، وإمَّا بتبديل شكلٍ نحو : أَسَد أُسُد ، وإمَّا بزيادةٍ وتبديلِ شكلٍ نحو : رَجُل رِجَال ، وإمَّا بنقصٍ وتبديلِ شكلٍ نحو : قَضِيب قُضُب ، وإمَّا بهنَّ جميعًا نحو : غُلام غِلْمان [ينظر : الحملاوي : 146 - 147 ، د. خديجة الحديثي : 292 – 293] .

فهذهِ الزيادةُ المتعلِّقةُ بالتثنيةِ أو الجمعِ تُعدُّ علاماتٍ لغويَّةً يترتَّبُ عليها معنى مختلفٌ وتُعطيها دلالاتٍ جديدةً يمكنُ أن تكونَ فرعيَّة مرتبطةً بالمادَّةِ الأصليَّة [ينظر: زهراء وسليمة : 39] . وهذا يعني أنَّ كلَّ صيغةٍ صرفيَّةٍ لها دلالاتٌ خاصَّةٌ بها تُميِّزُها عن غيرها [ينظر : سوسن : 58] .

وسنقفُ على مجموعةٍ من الألفاظِ التي وردت بحالةِ التثنيةِ أو الجمعِ في التعبيرِ القرآنيِّ لقصدٍ معيَّنٍ لا يتحقَّقُ من دون ذكرِه بهذهِ الصيغةِ ، ومع هذا الاستعمالِ المقصودِ تظهرُ بلاغةُ النصِّ القرآنيِّ واضحةً جليَّةً في استعمالاتِه المتنوِّعةِ لصيغِ الإفرادِ والتثنيةِ والجمعِ ، وسيتبيَّنُ أنَّ للقرآنِ الكريمِ طرائقَ خاصةً في التعبيرِ تُفصِحُ عن أسرارِ هذهِ الاختياراتِ البديعةِ .

أولًا : العلة التعبيرية لتثنية (جنتان) .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وقد علَّلَ السيّدُ المهريُّ سببَ التثنيةِ في قَولِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ : 15] ، فقال : " إنَّ المرادَ بالجنَّتَيْنِ إحاطةُ الجنانِ بالبلدِ يمينًا وشمالًا ، لا خصوصَ الجنَّتَيْنِ بالعددِ ، والمرادُ بالمسكَنِ البلدُ ، ويحتملُ أَنْ يكونَ المرادُ بالآيةِ في الآيةِ الكريمةِ ما أنعمَ اللهُ به عليهم مِن بناءِ السدِّ العظيمِ الذي منعُوا به مياهَ السُّيولِ الغزيرةِ الهدَّامةِ ، وجعلوا له منافذَ ، فأنْشِئَتْ به الجنانُ عن يمينِ البلدِ وشمالِهِ . وبذلك تحوَّلت النقمةُ إلى نعمةٍ . وربَّما يكونُ هذا هو ظاهرَ الآيةِ الكريمةِ بلحاظِ أنَّ قولَهُ تعالى (جنَّتان) بدلٌ عن قولِهِ (آية) ، ويحتملُ أَنْ لا يكونَ المرادُ بـ (الآية) الجنَّتينِ ، بل ما تعقَّبَ ذلك من دمارٍ وخرابٍ نتيجةَ كفرِهم وإعراضِهم . والسببُ في هذا العدولِ عن ظاهرِ الآية أنَّ وجودَ جنَّتَيْنِ لا تُعَدُّ آيةً ، فهناكَ في سائرِ البلادِ جنانٌ كثيرةٌ . بل يمكنُ أنْ لا يكونَ في ذلكِ مخالفةٌ للظاهرِ باعتبارِ أنَّ الآيةَ تحقَّقت في مجموعِ ما حدثَ لهم من حدوثِ الجنَّتينِ ثُمَّ زوالهما . والآيةُ : العلامةُ ، فكما أنَّ الجنانَ علاماتٌ على رحمتِهِ كذلك إبدالها بما لا ينفعُهم علامةٌ على قدرتِهِ وحكمتِهِ وعزَّتِهِ وحُسنِ تدبيرِهِ في تربيةِ الإنسانِ وسوقِهِ إلى الكمالِ " [المهري : 1 / 215 – 216] .

وقد أشارَ المفسِّرونَ إلى سببِ التثنيةِ في الآيةِ الكريمةِ بأقوالٍ كثيرةٍ ومختلفةٍ . قالَ الطبريُّ (ت ٣١٠ ه) : " وأمَّا قولُهُ : (جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) فإنَّهُ يعني : بستانان كانا بينَ جبلين ، عن يمينِ مَنْ أتاهُما وشمالِه " [الطبري :١٩ / ٢٤٧] ، وقال الطوسيُّ (ت ٤٦٠ ه) : " ثُمَّ فسَّرَ الآيتينِ فقالَ : (جنَّتانِ) ، أي : هي جنَّتانِ ، (عن يمينٍ وشمالٍ) ، قيلَ : عن يمينِ الوادي وشمالِهِ " [الطوسي : ٨ / ٣٨٥] . وقال الزمخشريُّ (ت ٥٣٨ ه) : " فإنْ قلتَ ما معنى كونِها آيةً ؟ قلتُ : لم يجعلِ الجنَّتَيْنِ في أنفسِهما آيةً ، وإنَّما جعلَ قصَّتَهما وأنَّ أهلَهما أعرضوا عن شكرِ اللهِ تعالى عليهما فخرَّبهما ، وأبدلهم عنهما الخمطَ والأثلَ " [الزمخشري : ٥ / ١١٣] .

وذكرَ الطبرسيُّ (ت 548 ه) أقوالًا كثيرةً في تثنيتِهما ، فقال : " (جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) أي : بستانانِ عن يمينِ مَنْ أتاهما وشمالِهِ . وقيلَ : عَن يمينِ البلدِ وشمالِهِ . وقيلَ : إنَّهُ لم يُرِدْ جنَّتَيْنِ اثنتَيْنِ ، والمرادُ كانت ديارُهم على وتيرةٍ واحدةٍ ، إذ كانت البساتينُ عن يمينِهم وشمالِهم متَّصلةً بعضُها ببعضٍ ، وكانَ مِن كثرةِ النِّعَمِ أنَّ المرأةَ كانت تمشي والمكتلُ على رأسها فيمتلئُ بالفواكِهِ مِنْ غير أن تمسَّ يدُها شيئًا " [الطبرسي : ٨ / ١٥٨] .

وذهبَ بعضُ المفسِّرينَ إلى أنَّ هذا تعبيرٌ بلاغيٌّ مجازيٌّ من بابِ المبالغةِ . قال البقاعيُّ (ت 885 ه) : " ويمكنُ أَنْ يُرادَ بالتثنيةِ المبالغةُ إفهامًا ؛ لأنَّها جنانٌ مُتكرِّرةٌ ومتكثِّرةٌ ، مثل : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق : 24] " [البقاعي : ١٩ / ١٨٠] . وقال ابنُ عاشور (ت 1393 ه) : " و (جنَّتَانِ) تشبيهٌ بليغٌ ، أي : في مساكنهم شبيهُ جنَّتَيْنِ في أنَّهُ مُغترسٌ أشجارًا ذاتَ ثمرٍ متَّصلٍ بعضُها

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ببعضٍ مثل ما يُعْرَفُ مِن حال الجنَّاتِ ، وتثنيةُ جنَّتَيْنِ باعتبارِ أنَّ ما على يمينِ السائرِ كجنَّةٍ ، وما على يسارِهِ كجنَّةٍ . وقيلَ : كانَ لكلِّ رجلٍ منهم في مسكنِهِ أي دارِهِ جنَّتَانِ : جنَّةٌ عن يمينِ المسكنِ وجنَّةٌ عن شمالِهِ ، فكانوا يتَّفيؤونَ ظِلالهما في الصباحِ والمساءِ ، ويجتنونَ ثمارَها من نخيلٍ وأعنابٍ وغيرها " [ابن عاشور : ٢٢ / ١٦٦] .

ومَّا تقدَّم تظهرُ أقوالٌ كثيرةٌ في علَّةِ التثنيةِ للجنَّتينِ ، وأغلبُها يوحي بأنَّهُ تعبيرٌ مجازيٌّ للدلالةِ على المبالغةِ والكثرةِ والسَّعةِ ، بحيثُ تملأ الجنانُ يمينَ البلدِ وشمالَهُ بما يدلُّ على الإحاطةِ ، وليست القضيَّةُ عدديَّةً ، وهو ما أشارَ إليهِ السيِّدُ المهريُّ .

ثانيًا : العلة التعبيرية للتثنية بـ (قلبين) :

وقد علَّلَ السيِّدُ المهريُّ سببَ التثنيةِ في قَولِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب : 4] ، فقال : " المرادُ بالقلبِ النفسُ الإنسانيَّةُ لا القلبُ الذي هو عضوٌ في الجسمِ يضخُّ الدمَ . وهذا تعبيرٌ كنائيٌّ يُقْصَدُ به أنَّ الإنسانَ لا يمكنُ أَنْ يكونَ له عقيدتانِ مُتنافيتانِ ، فيكونُ - بناءً على التفسير السابق - إشارةً إلى منعِ اجتماعِ الشركِ والتوحيدِ في قلبِ إنسانٍ واحدٍ ، ليؤيِّسَ بذلك المشركينَ ، ويمنعَهم مِن محاولةِ الضغطِ على الرسولِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، ليتنازلَ عَن بعضِ ما أُوحيَ إليهِ ، بهدفِ تقاربِ المذهبَيْنِ الشركِ والتوحيدِ . وبذلك تكونُ هذهِ الجملةُ تكملةً لِمَا وردَ في الآياتِ السابقةِ " [المهري : ١ / ٩] .

وهناك تفسيراتٌ كثيرةٌ للمفسِّرينَ لسببِ ورودِ القلبينِ بصيغةِ التثنيةِ . فذهبَ بعضهم إلى أنَّها نزَلَتْ في تكذيبِ قومٍ مِنْ أهلِ النفاقِ وصفُوا نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم بأنَّهُ ذو قلبينِ : قلبٍ معهم وقلبٍ معَ أصحابِهِ ، فنفى اللهُ تعالى ذلك عَن نبيِّهِ وكذَّبَهم ، وقيلَ : وقيل : هو ردٌّ على المنافقينَ بأنَّهُ : ليسَ لأحدٍ قلبانِ يؤمنُ بأحدِهما ، ويكفرُ بالآخرِ ، وإنَّما هو قلبٌ واحدٌ ، فإمَّا أَنْ يؤمنَ وإمَّا أَنْ يكفرَ [ينظر : الطبري : 19 / 6 – 7 ، والزجاج : ٤ / ٢١٣ ، والطبرسي : ٨ / ٨٩ – ٩٠] .

. وذهبَ بعضٌ آخرُ إلى أنَّ المعنى أنَّ الله تعالى لم يجعلْ للإنسانِ قلبينِ : قلبًا يخلصُ بهِ للهِ جلَّ وعزّ وقلبًا يميلُ بهِ إلى أعدائِهِ ، فلا يمكنُ أَنْ يكونَ لإنسانٍ واحدٍ قلبانِ في جوفِهِ ؛ لأنَّهُ لا يخلو إمَّا أَنْ يفعلَ بأحدِهما مثلَ ما يفعلُ بالآخرِ مِن أفعالِ القلوبِ فيكونُ أحدُهما فضلةً وعندئذٍ لا حاجَةَ إليه وسيكونُ وجودُهُ عبثًا زائدًا ، وإمَّا أَنْ يفعلَ بأحدهما غيرَ ما يفعلُ بالآخر فيؤدِّي ذلك إلى اتِّصافِ الإنسانِ بكونِهِ مُريدًا وكارهًا أو عالمًا وشاكًّا في آنٍ واحدٍ ، وهذا يؤدِّي إلى اتِّصافِهِ بالضدِّينِ وهذا مُحالٌ [الطوسي : ٨ / ٣١٤ ، والزمخشري : ٥ / ٤٢ – ٤٣ ، وأبو حيان الأندلسي : ٧ / ٢٠٧] .

فالتعبيرُ بعدمِ جعلِ قلبينِ في جوفِ الإنسانِ تعبيرُ كنائيٌّ يُقْصَدُ به أنَّ الإنسانَ لا يمكنُ أَنْ يكونَ لـه عقيدتانِ مُتنافيتانِ ، فيكونُ - بناءً على هذا التفسيرِ - إشارةً إلى منعِ اجتماعِ الشركِ والتوحيدِ في قلبِ إنسانٍ واحدٍ ، وهو أمرٌ مُحالٌ عقلًا .

وذكرَ السيّدُ الطباطبائيُّ تحليلًا بلاغيًّا رائعًا في تثنية القلبينِ يقتربُ من تعليلِ السيّدِ المهريّ ، فقالَ : " قولُهُ تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ كنايةٌ عن امتناعِ الجمعِ بينَ المُتنافيينِ في الاعتقادِ ؛ فإنَّ القلبَ الواحدَ - أي النفس الواحدة – لا يسعُ اعتقادَيْنِ مُتنافيَيْنِ ورأيَيْنِ مُتناقضَيْنِ ، فإنْ كانَ هناك مُتنافيانِ فهما لقلبينِ ، وما جعلَ اللهُ لرجلٍ من قلبَيْنِ في جوفِهِ ، فالرجلُ الواحدُ لا يسَعُهُ أنْ يعتقدَ المُتنافيَيْنِ ويُصدِّقَ بالمُتناقضَيْنِ ، وقولهُ : ﴿ فِي جَوْفِهِ ﴾ يُفيدُ زيادةَ التقريرِ كقولِهِ : ﴿ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : 46] " [الطباطبائي : 16 / 280] .

وفي التثنيةِ دلالةٌ على التنبيهِ والتقريعِ على الذين يدْعونَ إلى عبادةِ الآلهةِ المتعدِّدةِ التي تستلزمُ وجودَ قلوبٍ متعدِّدةٍ ، قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازيُّ : " والمرادُ مِن (القلب) في مثلِ هذهِ الموارِدِ (العقل) . وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ اتِّباعَ الكُفَّارِ والمنافقينَ وعدمَ اتِّباعِ الوحي الإلهيّ يدعو الإنسانَ إلى مثلِ هذهِ الاعتقاداتِ الخرافيَّةِ ، وبغضِّ النظر عن ذلكَ ، فإنَّ للجملةِ معنى أعمقَ ، وهو : أنَّهُ ليسَ للإنسانِ إلَّا قلبٌ واحدٌ ، ولا يحتوي هذا القلبُ ولا يختزنُ إلا عشقَ معبودٍ واحدٍ ، وعلى هذا فإنَّ أولئكَ الذين يَدْعونَ إلى الشركِ والآلهةِ المتعدِّدةِ ينبغي أنْ تكونَ لهم قلوبٌ مُتعدِّدةٌ ؛ ليجعلوا كلَّ واحدٍ منها بيتًا لعشقِ معبودٍ واحدٍ "[الشيرازي : ١٣ / ١٦١]

ثالثًا : العلة التعبيرية للجمع بـ (المشارق) .

وقد علَّلَ السيّدُ المهريُّ سببَ الجمعِ في قَولِهِ تَعَالَى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ [الصافات : 5] ، فقال : " ﴿ وَرَبُّ المُشارِقِ ﴾ ، لعلَّ الجمعَ باعتبارِ أنَّ للشمسِ في كلِّ يومٍ مشرقًا على أفقِ كلِّ بلدٍ ، ويتغيَّرُ تدريجًا حسبَ أيَّامِ السنةِ . والتعرُّضُ لهذا الموردِ بالخصوصِ مِنْ بينِ ما اشتملَتْ عليه السماواتُ والأرضُ مِن مظاهر الربوبيَّةِ مِن بابِ ذكر نموذجٍ من النظامِ الموحَّدِ في الكونِ ، وهو مثالٌ واضحٌ تتجلَّى فيه الدقَّةُ المتناهيةُ ، فإنَّ اختلافَ المشارقِ في كلِّ يومٍ يتبعُ نظامًا دقيقًا لا يتغيَّرُ طيلةَ القرونِ المتماديةِ ، وهو أيضًا يربطُ نظمَ السماءِ بنظمِ الأرضِ ، ولكن بمعنى آخر ، فهو نظامٌ مترابطٌ بين الكرةِ الأرضيَّةِ وجرمٍ مِن الأجرامِ السماويَّةِ وهو الشمسُ " [المهري : 2 / 13] .

فقد ذكرَ أغلبُ المفسِّرينَ بأنَّ المشارقَ هي مشارقُ الشمسِ ، وهي مطالعُها بعددِ أيَّامِ السنةِ ، وهي ثلاثمائة وستُّون مشرقًا ، ومثلها مِنَ المَغَاربِ ، وفيها إشارةٌ إلى أنَّهُ يملكُ التصرُّفَ فيها [ينظر : الطبري : 19 / 497 ، والزجاج : ٣ / ٢٩٨ ، والطوسي : 8 / 483 ، وابن عطية : 4 / 465 ، والبقاعي : ١٦ / ١٩٣] .

وذكرَ بعضٌ آخرُ تعليلاتٍ متنوَّعةً لجمعِ المشارقِ ، قال الزمخشريُّ (ت 538 ه) : " المشارقُ ثلاثمائة وستُّونَ مشرقًا ، وكذلك المغاربُ ؛ تُشرقُ الشمسُ كلَّ يومٍ في مشرقٍ وتُغربُ في مغربٍ ، ولا تطلعُ ولا

تغربُ في واحدٍ يومينِ " [الزمخشري : 5 / 200] . وقالَ الطبرسيُّ (ت 548 ه) : " ﴿ وَرَبُّ المُشارِقِ ﴾ وهي مشارقُ الشَّمسِ أي : مطالعُها بعددِ أيَّامِ السنةِ ثلاثمائة وستُّون مشرقًا ، والمغاربُ مثل ذلك ، تطلعُ الشمسُ كلَّ يومٍ مِن مشرقٍ ، وتغربُ في مغربٍ ، عن ابن عباس والسدي . وإنَّما خصَّ المشارقَ بالذكرِ ؛ لأنَّ الشروقَ قبلَ الغروبِ " [الطبرسي : ٨ / ٢٢٦ – ٢٢٧] . وقال الآلوسيُّ (ت 1270 ه) : " والمرادُ بالمشارقِ عند جمعِ مشارقِ الشمسِ ؛ لأنَّها المعروفةُ الشائعةُ فيما بينهم ، وهي بعددِ أيَّامِ السنةِ ، فإنَّها في كلِّ يومٍ تُشرقُ من مشرقٍ وتغرب من مغربٍ ، فالمغاربُ مُتعدِّدةٌ تعددَّ المشارقِ ، وكأنَّ الاكتفاءَ بها لاستلزامِها ذلكَ مع أنَّ الشروقَ أدلُّ على القدرةِ وأبلغُ في النِّعمة " [الآلوسي : ١٢ / ٦٦] .

وفصَّل ابنُ عاشور (ت 1393 ه) سببَ جمعِ المشارقِ ، فقال : وتخصيصُ (الْمَشَارِقِ) بالذكرِ من بينِ ما بين السماواتِ والأرضِ ؛ لأنَّها أحوالٌ مشهودةٌ كلَّ يوم ، وجمعُ (المشارق) باعتبارِ اختلافِ مَطلع الشمسِ في أيَّامِ نصفِ سنةِ دورتِها وهي السنة الشمسيَّةُ وهي مائة وثمانونَ شرقًا باعتبارِ أطول نهار في السنةِ الشمسيَّةِ وأقصَرِهِ مكرَّرةً مرتينِ في السنةِ ابتداءً من الرجوعِ الشتويِّ إلى الرجوع الخريفيِّ ، وهي مطالعُ متقاربةٌ ليسَتْ متحدةً ، فإنَّ المشرقَ اسمٌ لمكان شروقِ الشمسِ وهو ظهورُها ، فإذا راعوا الجهةَ دون الفصلِ قالوا : المَشْرِق بالإفراد ، وإذا رُوعي الفصلانِ الشتاءُ والصيفُ قيل : ربُّ المشرقينِ ، على أنَّ جمعَ المشارقِ قد يكونُ بمراعاةِ اختلاف المطالعِ في مبادئِ الفصولِ الأربعةِ " [ابن عاشور : ٢٣ / ٨٦ – ٨٧] .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وذكر السيِّدُ محمَّد حسين الطباطبائيُّ احتمالَ دلالةِ المشارقِ على مشارقِ النجومِ أو مطلقِ المشارقِ [ينظر : الطباطبائي : 17 / 124] ، وتابعَهُ الشيخُ ناصر مكارم الشيرازيُّ ، فقال : " إنَّ المرادَ مِن (الْمَشَارِقِ) هو الإشارةُ إلى مواقعِ شروقِ الشمسِ في أيَّامِ السنةِ ، أو إلى مشارقِ النُّجومِ المختلفةِ في السماءِ ، حيثُ إنَّها جميعًا لها نظامٌ وبرنامجٌ خاصٌّ بها ، إضافةً إلى النظامِ السماويِّ والأرضيِّ الذي يُوضِّحُ العلمَ والقدرةَ والتدبيرَ المطلقَ للخالقِ " [الشيرازي : ١٤ / ٢٨٣ – ٢٤٨] .

ومن ذلك يتجلَّى سببُ ذكرِ المشارقِ بصيغةِ الجمعِ للدلالةِ على تعدُّدِ المشارقِ بحسبِ أيَّامِ السنةِ المعروفةِ ، واختلافُ المشارقِ في كلِّ يومٍ الذي لا يتغيَّرُ طيلةَ القرونِ المتماديةِ يُوحي بأنَّ هناكَ نظامًا دقيقًا مترابطًا بين الكرةِ الأرضيَّةِ وجرمٍ مِن الأجرامِ السماويَّةِ وهو الشمسُ .

رابعًا : العلة التعبيرية للجمع بـ (أهواء) .

وقد علَّلَ السيِّدُ المهريُّ سببَ الجمعِ في قَولِهِ تَعَالَى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ﴾ [محمد : 14] ، فقال : " ففريقٌ يعتمدُ الأدلَّة الواضحةَ البيِّنةَ المبيِّنةَ النازلةَ مِن ربِّهم التي تُنيرُ لهم الدربَ ؛ فهو يسيرُ بُخطى واثقةٍ مطمئنَّةٍ ، يعرفُ طريقَهُ ويعرفُ مصيرَهُ ، لا يشوبُهُ أدنى شكٍّ ولا ريبٍ ، وفريقٌ يعملُ السيِّئاتِ ويتَّبعُ هواهُ ، وهو يحسبُ نفسَهُ مُثقَّفًا عالمًا ، وأنَّهُ اختارَ الطريقَ الأصلحَ في

الحياةِ ، فلا يجدُ الطريقَ الصحيحَ ولا يهتدي بهدى الله تعالى ولا يظنُّ بنفسِهِ الضلال ، ليبحثَ عن الحقّ ؛ لأنَّهُ يرى عملَهُ السيّئ حسنًا وليسَ معذورًا في جهلِهِ هذا ؛ لأنَّهُ أُصيبَ بهِ بسوءِ اختيارِهِ . والاستفهامُ للإنكارِ ، أي ليسَ الفريقانِ مُتماثلينِ . والفاءُ للاستئنافِ ، وأتى بالضميرِ المفردِ في قولهِ : ﴿ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ بلحاظِ لفظِ الموصولِ ، فإنَّهُ مفردٌ . وأَتَى بالجمع في قولِهِ : ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ﴾ باعتبارِ المصاديقِ . وهذا الاختلاف حسب الاعتبارين إنَّما يأتي لغرضٍ ما ، ولعلَّه هنا رعايةَ التناسبِ في آخرِ الآياتِ ؛ فإنَّ روعةَ التعبيرِ مقصودةٌ في القرآنِ " [المهري : ٤ / ١٣٥] .

وذكرَ المفسّرونَ المتقدّمونَ المعنى العامَّ من دونِ إشارةٍ لعلَّةِ الجمعِ في قولِهِ : ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ﴾ ، وبيَّنوا أنَّ السعادةَ ستكونُ عاقبةَ الذينَ يفعلونَ الحسناتِ وأنَّ الشقاءَ سيكونُ عاقبةَ الذينَ يفعلونَ السيّئاتِ ، وفي الاستفهامِ دلالةٌ على التوقيف والتقريرِ ، فمَنْ كانَ على برهانٍ وحجَّةٍ قاطعةٍ فهو يعبدُ اللهُ تعالى عن بصيرةٍ منه بأنَّ له ربًّا سيُجازيه على طاعتِهِ إيَّاهُ الجنَّةَ وعلى إساءتِهِ ومعصيتِهِ إيَّاهُ النَّارَ ، وهذا المؤمنُ ليسَ كمَنْ حسَّنَ لهُ الشيطانُ قبيحَ عملِهِ وصوَّرُ لهُ بأنَّهُ جميلٌ ؛ لأنَّ هؤلاءِ اتَّبعوا أهواءَهم وما دعَتْهم إليهِ أنفسُهم وشهواتُهم وطباعُهم من معصيةِ اللهِ وعبادةِ الأصنام ، من غيرِ أنْ يكونَ عندَهم بما يعمَلونَ من ذلك برهانٌ وحجَّةٌ ، وهذا ينطبقُ على المشركينَ الذين زيَّنَ لهم الشيطانُ الشّركَ وتكذيبَ اللهِ ورسولِهِ صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّم ، ويأتي هذ التعبيرُ لإيضاحِ الفرقِ بين الفريقينِ : فريقِ المؤمنينَ وفريقِ الكافرينَ والمشركينَ [ينظر : الطبري : 21 / 199 ، والزجاج : ٥ / ٩ ، والطوسي : ٩ / ٢٩٦ ، والزمخشري : 5 / 521 ، والطبرسي : ٩ / ١٢٨ ، والرازي : 28 / 52 – 53 ، والقرطبي : 19 / 258] .

ويذكرُ الشيخُ ناصر مكارم الشيرازيُّ تفصيلاتٍ مهمَّةٍ في دلالةِ هذا التعبيرِ ، فقال : " قولُهُ : ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ﴾ أي إنَّ هذا التزيينَ ناشئٌ عن اتِّباع الهوى ، وقضيَّةُ كونِ الهوى والشهوات تسلبُ الإنسانَ القدرةَ على الحسِّ والتشخيصِ والإدراكِ الصحيحِ للحقائقِ ، قضيَّةٌ يمكنُ إدراكُها بوضوحٍ . إنَّ نسبةَ التزيينِ إلى الشيطان - طبعًا - صحيحةٌ أيضًا ؛ لأنَّهُ هو الذي يَنصِبُ المكائدَ ويُوسْوِسُ للإنسانِ أَنْ يلجَها ، ويزيّنُ لهُ اتِّباعَ الهوى . وأمَّا نسبتُهُ إلى اللهِ سبحانَهُ فلأنَّهُ مُسبّبُ الأسبابِ ، وإليهِ يرجعُ كلُّ سببٍ ، فهو الذي أعطى النَّارَ الإحراقَ ، ومنحَ الهوى قدرةَ تغطيةِ الحقائقِ وإلقاءِ الحجبِ عليها ؛ لئلَّا يدركَها مَنْ يتَّبِعُهُ ، وقد أظهرَ هذا التأثيرَ وأعلنَهُ من قبلُ ، ولذلك فإنَّ أصلَ المسؤوليَّةِ يرجعُ إلى نفسِ الإنسان " [الشيرازي :١٦/ ٣٥٤-٣٥٥] .

وقد وضَّحَ السيّدُ المهريُّ الفرقَ بينَ الفريقينِ ، وذكرَ أنَّ الاستفهامُ للإنكارِ ، أي ليسَ الفريقانِ مُتماثلينِ ، وبيَّنَ أنَّ الجمعَ في قولِهِ : ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ﴾ باعتبارِ المصاديقِ الخارجيَّةِ التي تنطبقُ على أشخاصٍ كثيرينَ ، فضلًا عن رعايةِ التناسبِ في آخرِ الآياتِ .

خامسًا : العلة التعبيرية للجمع بـ (المجيبون) .

وقد علَّلَ السيِّدُ المهريُّ سببَ الجمعِ في قَولِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ [الصافات : 75] ، فقال : " والمجيبُ هو اللهُ سبحانَهُ ، وإنَّما أتى بصيغةِ الجمعِ تعبيرًا عن العظمةِ ، فإنَّ العظماءَ يُؤتى لهم بضميرِ الجمعِ ، ولعلَّهُ مِن جهةِ أنَّهم عادةً يتكلَّمون عن أنفسِهم وأعوانِهم وقلَّما يباشرونَ عملًا ، فاستُعِيرَ الجمع للدلالةِ على العظمةِ . والغرضُ مِن هذا التعبيرِ : ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ ، أي : استجبنا دعاءَهُ بأحسنِ إجابةٍ ، فإنَّهُ دعا لقومِهِ بالهلاك فأهلكناهم عن آخرِهم ، وأغرقناهم ، ولم نبقِ منهم أثرًا " [المهري : ٢ / ٧٢] .

وقد أشارَ أغلبُ المفسِّرينَ إلى أنَّ التقديرَ : فلنعمَ المجيبونَ نحنُ ، وذكروا أنَّ اللهَ تعالى كانَ نِعْمَ المُجيبُ للنبيِّ نوحٍ عليه السلام ، فلقد استجابَ دعاءَهُ ، فأنقذَهُ من الغرقِ ، وأهلكَ قومَهُ [ينظر : الطبري : ١٩ / ٥٥٩ ، والزجاج : ٤ / ٣٠٧ ، والطوسي : 8 / 505 ، وابن عطية : ٤ / ٤٧٦ ، والبقاعي : ١٦ / ٢٤٦] .

وذكرَ بعضُ المفسِّرينَ دلالةَ الجمعِ في قولِهِ : ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ بتصُّوراتٍ مختلفةٍ ، فذكرَ أغلبُهم دلالتَهُ على العظمةِ والكبرياءِ ، قالَ الزمخشريُّ (ت ٥٣٨ ه) : " والمخصوصُ بالمدحِ محذوفٌ وتقديرُهُ : فواللهِ لَنِعْمَ المُجيبونَ نحنُ . والجمعُ دليلُ العظمةِ والكبرياءِ . والمعنى : إنَّا أجبْنَاهُ أحسنَ الإجابةِ ، وأوصلَها إلى مرادِهِ وبُغيتِهِ مِن نصرتِهِ على أعدائِهِ ، والانتقامِ منهم بأبلغِ ما يكونُ " [الزمخشري : ٥ / ٢١٥] . وقال الحنبليُّ (ت ٨٨٠ ه) : " والمخصوصُ بالمدحِ محذوفٌ تقديرُهُ أي نحنُ أَجَبْنا دُعاءَهُ وأهلكْنا قومَهُ . ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء : 76] واعلمْ أنَّ هذهِ الإجابةَ كانت من النِّعمِ العظيمةِ وذلك من وجوهٍ : أحدُها أنَّهُ تعالَى عبَّرَ عَن ذاتِهِ بصيغةِ الجمعِ ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ ﴾ ، والقادرُ العظيمُ لا يليقُ بهِ إلَّا الإحسانُ العظيمُ ، وثانيهما أنَّهُ أعادَ صيغةَ الجمعِ في قولِهِ : ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ من ذلك أيضًا يدلُّ على تعظيمِ تلكَ النِّعمةِ ، لا سيَّما وقد وصفَ تلك الإجابةَ بأنَّها نعمةَ الإجابةِ " [الحنبلي : ١٦ / ٣١٨] . وقال الآلوسيُّ (ت 1270 ه) : " والمخصوصُ بالمدحِ فيه محذوفٌ ، والفاءُ فصيحةٌ . أي : وتاللهِ لقد دعَانا نوحٌ حينَ أَيِسَ مِن إيمانِ قومِهِ بعدَ أَنْ دعاهم أحقابًا ودهورًا ، فلم يزدْهم دعاؤُهُ إلَّا فرارًا ونفورًا ، فأجَبْنَاهُ أحسنَ الإجابةِ ، فو اللهِ لنِعْمَ المجيبونَ نحنُ ، فحذفَ ما حذفَ ثقةً بدلالةِ ما ذكرَ عليه ، والجمعُ للعظمةِ والكبرياءِ ، وفيهِ مِن تعظيمِ أمرِ الإجابةِ " [الألوسي : 23 / 97 -98] .

وذكرَ الطبرسيُّ (ت 548 ه) دلالةً مختلفةً ، فرأى أنَّ الجمعَ دليلٌ على العمومِ ، فتكون بذلك عامَّةً دالَّةً على الإجابةِ لجميعِ الداعينَ ، وليستْ خاصّةً بالنبيِّ نوحٍ عليه السلام ، فقالَ : " ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ نحنُ لنوحٍ في دعائِهِ ، أَجَبْنَاهُ إلى ما سألَ ، وخلَّصْنَاهُ مِن أذى قومِهِ بإهلاكِهم . وقيلَ : هو على العمومِ ، أيْ : فَلَنِعْمَ المجيبونُ نحنُ لِمَنْ دعَانا " [الطبرسي : ٨ / ٢٣٨] .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فهناكَ دلالاتٌ متنوّعةٌ للتعبيرِ بصيغةِ الجمعِ في قولهِ : ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ ، فقد تكونُ للدلالةِ على عظمةِ اللهِ تعالى وكبريائِهِ ، وقد تكونُ للدلالةِ على عمومِ الإجابةِ وشمولِها لجميعِ الخلقِ . وقد ذهبَ السيّدُ المهريُّ إلى الرأي الأوَّلِ الذي يقولُ بأنَّ التعبيرَ بصيغةِ الجمعِ للدلالةِ على العظمةِ ، فإنَّ العظماءَ يُؤتى لهم بضميرِ الجمعِ ، ولعلَّهُ مِن جهةِ أنَّهم عادةً يتكلَّمون عن أنفسِهم وأعوانِهم وقلَّما يباشرونَ عملًا ، فاستُعِيرَ الجمعِ للدلالةِ على العظمةِ .

سادسًا : العلة التعبيرية للجمع بـ (رسالات) .

وقد علَّلَ السيّدُ المهريُّ سببَ مجيء الجمع في (رسالات) في قَولِهِ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : 39] ، فقال : " ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ صفةٌ لِلَّذينَ خلَوْا مِن قبلُ ، ليتبيَّنَ أنَّ المرادَ بهم الرُّسلُ سلامُ اللهِ عليهم . ولعلَّهُ أتى بالرسالاتِ جمعًا باعتبارِ اختلافِ الشرائعِ في بعضِ الجزئيَّاتِ ، ويمكنُ أَنْ يكونَ ذلك باعتبارِ أنَّ كلَّ واحدٍ منهم يُبلِّغُ رسالاتِ اللهِ ، فالتعدُّدُ بلحاظِ تعدُّدِ الأحكامِ والمعارفِ الإلهيَّةِ . ولعلَّ الإتيانَ بالمضارعِ للتنبيهِ على استمرارِ الرسالاتِ ، فيشملُ الرَّسولَ [صلَّى الله عليه وآله وسلَّم] ... " [المهري : 1 / 117] .

وقد تحدَّثَ أغلبُ المفسّرينَ عن المعنى العامّ ، ولم يشيروا إلى دلالةِ جمعَ (رسالاتِ) في الآيةِ المباركةِ ، فذكروا أنَّ (الذينَ) صفةُ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ، فهم يؤدُّونَ الرسالةَ إلى مَنْ بُعثوا إليهم كما ينبغي ولا يكتمونَها ، ويخشونَ اللهَ تعالى في تركِهم تبليغَ الرسالةِ إلى مَنْ أُرسِلُوا إليهم ، فلا تمنعهم سطوةُ أحدٍ من تبليغِ الرسالاتِ [ينظر : الطبري : 19 / 121 ، والطوسي : 8 / 346 ، والزمخشري : 5 / 75 ، والطبرسي : ٨ / ١٢٥ ، والرازي : 25 / 214 – 215 ، وأبو حيان الأندلسي : 7 / 228] .

وذكرَ الآلوسيُّ (ت 1270 ه) قراءةَ (رسالاتٍ) مفردةً فتكون (رسالةً) ، وعللَّ سبب ذلك ، فقالَ : " فقرأ أُبيٌّ (رسالةً) على التوحيدِ لجعلِ الرسالاتِ المتعدِّدةِ لاتِّفاقِها في الأصولِ وكونِها من اللهِ تعالى بمنزلةِ شيءٍ واحدٍ وإن اختلفت أحكامُها " [روح المعاني ، الآلوسي : 22 / 28] . لكنَّ جمعَها على (رسالاتٍ) لا يناقضُ اتِّفاقَها في الأصولِ والأهدافِ اختلافَها في بعضِ الجزئيَّاتِ التي تُراعي الظروفَ والقابليَّات .

ويكاد يكون السيّدُ المهريُّ – بحسبِ اطلاعي - من الذي انفردُوا في بيانِ علَّةِ التعبيرِ بجمعِ (رسالاتِ) في قولِهِ تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ، وبيَّنَ أنَّ العلَّةَ في جمعِ الرسالاتِ هي الإشارةُ إلى اختلافِ الشرائعِ في بعضِ الجزئيَّاتِ الخاصَّةِ بالأحكامِ الشرعيَّةِ ، ويمكنُ أَنْ يكونَ ذلك باعتبارِ أنَّ كلَّ واحدٍ من الأنبياءِ والمرسلينَ عليهم الصلاةُ والسلامُ يُبلِّغُونَ

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

رسالاتِ اللهِ تعالى مجتمعةً ، وهذا التعدُّدُ هو بلحاظِ تعدُّدِ الأحكامِ الشرعيَّةِ والمعارفِ الإلهيَّةِ التي تتفقُ فيها الأديانُ السماويَّةُ بمضمونِها العامِّ .

الخاتمة

1- إنَّ كثيرًا مِن عللِ التعبيرِ القرآنيِّ التي أشار إليها السيدُ المهريُّ لم يتطرَّقْ لها أغلبُ المفسِّرينَ السابقينَ أو أشاروا إليها إشاراتٍ سريعةً مِن دونِ تفصيلٍ ، ويمكنُ أَنْ يكونَ جهدُهُ مكمِّلًا لجهودِ المفسِّرينَ السابقينَ .

2- يبدو أنَّ أكثرَ من تأثر به السيِّدُ المهريُّ من المفسِّرينَ المحدثينَ والتقى معه في بيان عللِ التعبيرِ القرآنيِّ هو ابنُ عاشور ، وقد تجلَّى هذا في مواضعَ كثيرةٍ من تفسير آياتٍ قرآنيَّةٍ اتَّضحت فيها مواضعُ الالتقاء بينهما

3- لم يكتفِ السيدُ المهريُّ بذكرِ وجهٍ واحدٍ في العلَّةِ التعبيريَّةِ القرآنيَّةِ الواحدةِ في بعضِ الأحيانِ ، بل كانَ يعرضُ أكثرَ من وجهٍ ، وربَّما يرجِّحُ وجهًا ويُضعِّفُ وجهًا آخر ، وربَّما يتركُ الأوجهَ من دونِ ترجيحٍ أو تضعيفٍ .

4- كان السيدُ المهريُّ يعتمدُ على المصادرِ اللغويَّةِ وكتبِ التفسيرِ السابقةِ ، ويحاولُ أحيانًا الاستفادةَ مِن علم الفقهِ وأصولِهِ والمنطقِ والفلسفةِ ، ولذلك كانَ يُطيلُ في بيانِ أوجهِ التعليلِ ، فتراه يشرحُ ويُفصِّلُ حتى تصلَ الفكرةُ المتعلقةُ بالعللِ التعبيريَّةِ من دون لبسٍ .

5- لم تكن علَّةُ التثنيةِ والجمعِ عندَ السيِّدِ المهريِّ راجعةً إلى موضوعِ العددِ فحسب ، بل كانَتْ هناك اعتباراتٌ أخرى تتعلَّقُ بقصدِ المتكلِّمِ وأفقِ المُخاطَبِ أو التصوُّراتِ التي يمكنُ أنْ ترافقَ الحدثَ .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المصادر والمراجع

ابن جنّي : الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ ه) ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة التوفيقية ، القاهر – مصر ، ط1 ، 2015م .

ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨ ه) ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، ٢٠٠٠م .

ابن عاشور : التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، (د ط) ، (د. ت) .

ابن عطية : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ ه)، تحقيق عبد السلام عبد الافي محمد ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، ٢٠٠١م .

ابن فارس : مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥ ه) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٩م .

ابن منظور : لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١ ه) ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1993م .

الآلوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ ه) ، تحقيق علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، ١٩٩٤م .

الأندلسي : البحر المحيط ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ ه) ، تحقيق: د. عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، (د. ت) .

البقاعي : نظم الدر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم الدين أبو الحسن أبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ ه) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، ١٩٩٥م .

بنت الشاطئ : التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط5 ، 1990 م .

التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي بن محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت ١١٥٨ ه) ، تقديم وإشراف ومراجعة ، د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية ، د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية ، د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ط1 ، ١٩٩٦م .

الجرجاني : كتاب التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ ه) ، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، ١٩٨٣م .

الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د.خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد – العراق ، ط1 ، ١٩٦٥م .

الحملاوي : شَذا العرف في فن الصرف ، أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الحَمْلاوي (ت 1315 ه) ، تحقيق د. محمد عبد المعطي ، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع ، السعودية ، ط1 ، .

الحنبلي : اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت ٨٠٨ ه) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وشيخ محمد معوض ود.محمد سعد رمضان حسن ود.محمد المتولي الدسوقي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، ٢٠١١م.

الرازي : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي (ت 604 ه) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1401ه – 1981 م .

الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١ ه) ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب، بيروت – لبنان ، ط1 ، ١٩٨٨م .

الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ ه) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود والشيخ محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض – السعودية ، ط1 ، 1418ه - 1998م .

زهراء وسليمة : ظاهرة الإلصاق مفوهومها وتطبيقاتها في دراسات اللغويين المحدثين ، م.م. زهراء حميد جبر ، أ.د. سليمة جبار غانم ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، كلية الآداب – جامعة واسط ، العدد 50 ، مجلد 2 ، 2023م.
https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss50.3179

السامرائي : التعبير القرآني ، د.فاضل السامرائي ، دار ابن كثير ، دمشق – سوريا ، ط3 ، 2018 م .

سوسن : العدول الصرفي في شعر الأفوه الأودي ، د. سوسن عبد الحسن عجيل ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، كلية الآداب–جامعة واسط ، العدد 38 ، مجلد 3 ، 2020م .
https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss38.1561

الشيرازي : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مطبعة أمير المؤمنين ، قم المقدسة – إيران ، ط1 ، 1421ه .

الطباطبائي : الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي، صحة وإشراف على طباعته فضيلة الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1417ه - 1997م .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 ه) ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط1، 1426ه – 2005م .

الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ ه) ، تحقيق د. عبد الله عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والتشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ط1 ، 1422ه – 2001 م .

الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ ه) ، تحقيق الشيخ آغابزرك الطهراني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، د. ت .

العسكري : الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥ ه) ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، د. ت .

الفراهيدي : كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 175 ه) ، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت – لبنان ، د. ت .

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله محمد بن أحمد أبي بكر القرطبي (ت 671 ه) ، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1427ه – 2006 م .

الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي (ت ١٠٩٤ ه) ، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، د. ت .

المطعني : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة ، ط1 ، ١٩٩٢م .

المهري : الهادي في تفسير القرآن ، السيد مرتضى المهري، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم المقدسة – إيران ، ط1، 1435 ه.

- **المواقع الإلكترونية :** رياض العلماء - سيرة السيد مرتضى المهريّ : https://mohri.net/seerah

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية